Abhat Journal, Volume. 15, Issue. 2, September 2023

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت

Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index

سورة الليل: دراسة تحليلية

د. سامية بنت عطية الله المعبدي
samoabady@uqu.edu.sa
قسم الكتاب والسنة/ كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى/ السعودية

الملخّص

تناولت هذه الدراسة تفسير سورة الليل تفسيرا تحليليا، بينت فيه التعريف بالسورة الكريمة تعريفا موجزا ذاكرة فضلها، ومناسبتها لما قبلها وبعدها من سور، مبينة محور آياتها وأبرز موضوعاتها. ثم فسرت آياتها من حيث الألفاظ والتراكيب، مع بيان ما حوته السورة من لطائف بلاغية، ونكات لغوية. هذا وقد أبانت السورة أن سعي العباد مختلف وكشفت عن أسباب التيسير لليسرى والعسرى، كما رغّبت السورة في تزكية النفس بالطاعات، ورهبت من تدسيتها بالمعاصي ببيان الجزاء المترتب على التزكية وضدها.

الكلمات المفتاحية:

تحليل، تفسير، دلالة الآية، سورة الليل، لطائف.

Surat Al-Layl: An Analytical Study

Dr. Samiah Bint Atiyatullah Almaabdi
samoabady@uqu.edu.sa
Department of Quran and Sunnah
College of Da`wa 'Islamic Call' and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University/ Saudi Arabia

Abstract:

The research deals with the interpretation of Surat Al-Layl as an analytical study, in which it shows the definition of the holy Surah briefly, its merits, its relevance to the surahs before and after it, its verses focus and the most prominent topics; Then it interprets its verses in terms of words and structures, shows the rhetorical subtleties and linguistic spots contained therein.

The surah shows the pursuit of the servants is different and reveals the reasons of facilitation for ease and hardship, invites to purify the soul by obedience, and intimidates to not to dirt by disobedience, through explain the penalty resulting from the recommendation and its opposite.

Keywords:

Analysis, Interpretation, Verse Indication, Surat Al-Layl, Subtleties.

المقدمة:

الحمد لله الذي جلّت آلاؤه أن تُعدّ وتعالت كبرياؤه أن تُشتمل بحدّ، أحمده سبحانه حمدًا يليق بجلاله وعظمته، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على الهادي الأمين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فإن الله تعالى أنزل كتابه الكريم تبيانا لكل شيء فكانت العناية به قراءة وحفظا، تدبرا وتفسيرا وفهما من أجل ما صُرفت إليه العقول والأفهام، وقضيت فيه الأوقات، يقول الطبري: "إن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضىً، وللعالم إلى سبيل الرشاد هدىً، وإن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرْية فيه، الفائزُ بجزيل الذخر وسنيّ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حَميد"(الطبري. 2000 م. مج1. ص7) من هنا رغبت في الاشتغال بتفسير كلام الله، فجاء هذا البحث الموسوم ب(سورة الليل، دراسة تحليلية).

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية البحث في تناوله بالبيان والتفسير لإحدى سور المفصّل (المفصل بضم الميم وفتح الفاء ومهملة مشددة ويسمى المحكم، اختلف في أوله على أقوال، رجح النووي أن أوله الحجرات أما آخره فسورة الناس اتفاقا، وله طوال وأوساط. سُمّي بذلك لأن سوره قصار وكل سورة كفصلٍ من الكلام. المناوي. 1356هـ. مج2. ص 720-722)، الذي فضل به رسول الله ﷺ على غيره من النبيين، وهي سورة الليل التي امتازت باشتمالها على ما يُوزِعُ العبد أن يكون من أهل السعادة، ويحذره من أن يكون في ركب الأشقياء؛ إذ أبانت السورة تفاوت جزاء الفريقين بتفاوت أعمالهما. كما أن الاشتغال بتفسير السورة فيه إعمال لقوله ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد:24]

أهداف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى:

- التعريف بسورة الليل وبيان مناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور.
- بيان محور آيات السورة وأهم موضوعاتها.
- الكشف عن معاني آيات السورة، والوقوف على ما حوته من لطائف وهدايات.

إشكالية الدراسة:

تظهر مشكلة البحث في إجابته عن الأسئلة التالية:

1) لماذا سميت سورة الليل بهذا الاسم؟
2) ما صلة سورة الليل بالسورة التي قبلها وبعدها؟
3) ما موضوعات سورة الليل؟
4) ما المعاني التي تضمنتها سورة الليل؟
5) ما الذي اشتملت عليه من لطائف؟

مجال الدراسة: سورة الليل.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث وفق المنهج التحليلي الاستنباطي، إذا قمت بتتبع آيات السورة المباركة لبيان معاني ألفاظها وتحليل معانيها، واستنباط ما اشتملت عليه من هدايات، وذكر ما حوته من لطائف.

إجراءات البحث:

- عزو الآيات إلى سورها، مع ذكر أرقامها ووضع ذلك في أصل البحث.
- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت، وإن كان في غيرهما خرجتها من مظانها، مع ذكر أقوال العلماء في بيان حكمها.
- تتبع آيات سورة الليل حسب ترتيبها، مع ذكر أقوال أهل العلم في معانيها، واستنباط ما حوت عليه من دقائق تفسيرية، وجوانب لغوية ونكات بلاغية.
- توثيق ما استفدته من كلام العلماء وآرائهم، فإن كان ما استفدته منهم بنصه وضعته بين علامات التنصيص المعروفة وأحلت إلى مصدره مباشرة، وإن كان بمعناه فقد وضعته دون علامات تنصيص وأحلت إليه بكلمة (انظر).

الدراسات السابقة:

1) الإعجاز اللغوي في سورة الليل، للباحثتين، فضيلة سليماني و لندة سليماني، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة عبدالرحمن ميرة، كلية الآداب واللغة العربية، عام 2018م، عنيت بدراسة سورة الليل من الناحية اللغوية، وذلك بدراسة السورة على مستوى الألفاظ والأصوات، وعلى مستوى التصريفات والتركيبات، فهي تختلف عن هذا البحث الذي يعنى بدراسة السورة من جانب التفسير التحليلي.

2) الوصل والفصل في سورة الليل، دراسة بلاغية تطبيقية، مقدمة من الباحثة ستي محمودة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سنن أمبيل الإسلامية الحكومية، سورابايا، 2011م، وهي تختلف كليا عن هذه الدراسة إذ عنيت بمواضع الفصل والوصل في السورة دون التطرق لتفسير آياتها.

3) الدلالة الصوتية في سورة الليل، د. صباح رحمن دايخ، بحث منشور بمجلة القادسية للعلوم الإنسانية، 2021م، وهو بحث اهتم بالدلالات الصوتية في السورة من جهة التنغيم والفاصلة القرآنية والتوافق بين الصوت والمعنى. ولم تتطرق الباحثة لمعاني الآيات وتفسيرها.

المبحث الأول: بين يدي سورة الليل:

أولاً: القول في نزول السورة، وأسمائها:

سورة الليل مكية عند جمهور المفسرين (الفيروزآبادي. بدون تاريخ. مج1. ص523؛ البقاعي. 1987. مج3. ص198؛ الثعلبي. 2015م. مج29. ص437)، بل عدت من أوائل السور نزولا على النبي ﷺ؛ فعدّها ابن الضريس تاسع سورة أنزلت (انظر ابن الضريس. 1987م. ص33 ونسبه لابن عباس؛ ابن عاشور. 1997م. مج30. ص377)، ومما يدل على مكيتها ما ورد عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–؛ أنه قال: نزلت سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بمكة. (ذكره السيوطي. 2003م. مج15. ص464، وابن الضريس. 1987م. ص 32، والنحَّاس. 1408هـ. مج3. ص132، والبيهقي. 1405هـ. مج7. ص142) وورد مثله عن ابن الزبير. (أخرج قوله ابن مردويه ذكر ذلك السيوطي. 2003م. مج15. ص464) هذا وقد حكى الإجماع على مكيتها ابن الجوزي والشوكاني. (انظر ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. 2001م. مج9. ص145؛ الشوكاني، مُحَمَّد بن علي. 1414 هـ. مج 5. ص451) في حين عدها بعضهم مدنية (قاله أبو عبيد. 1995م. ص365 ونسبه لابن عباس؛ وذكر البقاعي. 1987م. مج3. ص198. أنه قول ابن أبي طلحة؛ وانظر الداني. 1994م. ص276)، وقال آخرون: بعضها مكي وبعضها مدني. قال السيوطي: "الأشهر أنها مكية، وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة" (روي أن سورة الليل نزلت في أبي الدحداح الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في نخلة كان يأكل أيتام من ثمرها وكانت لرجل من المنافقين فمنعهم من ثمرها فاشتراها أبو الدحداح بنخيل فجعلها لهم، والقصة بتمامها أوردها ابن أبي حاتم. 1419هـ. مج10. ص3439؛ والواحدي. 1994م. مج4. ص502، وفي 1992م. مج10. ص3493. من طريق حفص بن عمر العدني ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف؛ فيه حفص وهو ضعيف؛ انظر ابن حجر. 1986م. ص1416. قال الحافظ ابن كثير. 1999م. مج8. ص419. "هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً" اهـ. وقال السيوطي. 2003م. مج15. ص464. "بسند ضعيف".

وقيل: فيها مكي ومدني. (السيوطي. 1974م. مج1. ص45؛ وانظر ابن عطية. 1422هـ. مج5. ص490). ويظهر أن القول بمكية السورة أقوى؛ لشهرته، ولأن ما استند عليه أصحاب الرأي الآخر القائلون بمدنية السورة دليل ضعيف. هذا وقد كان نزول هذه السورة بعد نزول سورة الأعلى وقبل سورة الفجر. (الضريس. 1987. ص33؛ المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص173) وهي السورة الثالثة والتسعون في ترتيب المصحف الشريف، وعدد آياتها إحدى وعشرون آية بلا خلاف، وكلماتها إحدى وسبعون، وحروفها ثلاثمائة وعشر. (الفيروز آبادي. مج1. ص523؛ الداني. 1994م. ص276؛ البقاعي. 1987م. مج3. ص198؛ الثعلبي. 2015م. مج29. ص437؛ المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص173) وجاءت تسمية هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير بسورة «الليل» بدون واو، في حين سميت في معظم كتب التفسير سورة «والليل» بإثبات واو القسم قبلها، وسمَّاها البخاري والترمذي بمطلعها، سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾. (البخاري. 1422هـ. مج6. ص170؛ الترمذي. 1998م. مج5. ص298) ووجه تسميتها؛ افتتاحها بإقسام الله تعالى بالليل إذا غشي الكون، وستر النهار، والأرض، والوجود بظلامه، وعتمته. (انظر ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد. 1997م. مج30. ص377)

ثانياً: فضل السورة، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور:

من فضائل هذه السورة المباركة أنها إحدى سور المفصّل الذي فُضّل به رسول الله ﷺ على غيره من النبيين، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: (أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ (أي السبع الطوال)، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، (المثاني: هي السور التي آيها مائة أو أقل، أو ما عدا السبع الطوال إلى المفصل، سميت مثاني لأنها أثنت السبع، أو لكونها قَصُرت عن المئين وزادت على

المفصل، أو لأن المئين جُعلت مبادئ والتي تليها مثاني. المناوي. 1356هـ. مج2. ص 720-722) وفُضِّلتْ بالمفصَّلِ) (رواه الإمام أحمد في مسنده. 1999م. مج28. ص188؛ والطبراني. بدون تاريخ. مج22. ص75-76. ح[186-187]؛ والبيهقي. 2003م.مج4. ص71، 108. ح[2192، 2255]، كلهم من حديث واثلة مرفوعا به. والحديث صححه الألباني. 1988م. مج1. ص241. ح[1939]، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: "إسناده حسن")

ومن فضائلها أنها إحدى السور التي كان يقرأ بها رسول الله ﷺ في صلاته، والتي وجه إلى قراءتها في صلاة العشاء؛ تخفيفا على العباد روى مسلم عن جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر باللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وفي العصر بنحو ذلك، وفي الصبح أطول من ذلك) (رواه مسلم بن الحجاج. بدون تاريخ. مج1. ص337. كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، ح [459])، وروى الشيخان عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين طَوَّل في صلاة الجماعة وتضرر من تضرر بتطويله: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ» ([أفتان أنت] أي منفر عن الدين وصادٌّ عنه. مسلم بن الحجاج. بدون تاريخ. مج1. ص339.) - أَوْ «أَفَاتِنٌ» - ثَلاَثَ مِرَارٍ: «فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحَاجَةِ» (رواه البخاري. 1422هـ. مج1. ص142.كتاب الأذان. باب من شكا إمامه إذا طول. ح [705]؛ ومسلم بن الحجاج. بدون تاريخ. مج1. ص340. كتاب الصلاة. باب القراءة في العشاء. ح [465]).

هذا وقد سُبقت سورة الليل بسورة الشمس، ومن أوجه التناسب بين السورتين ما يلي:

- أن كلا السورتين افتتحتا بالقسم، ففي سورة الشمس أقسم سبحانه بالزمان ومستتبعاته، وفي سورة الليل أقسم بالزمان ومشتملاته. والمقسم عليه في سورة الشمس فلاح من تزكى وخيبة من اختار طريق الشقاوة، وفي سورة الليل افتراق سعي البشر.

- اتفقت السورتان في الحديث عن الهداية والتوفيق إليها، وأن ذلك بيد الله يمنح الهدى ويلهمه من أراد من عباده ممن سلك أسبابه، ففي سورة الشمس يقول سبحانه ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: 8] وفي سورة الليل ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: 12]، كما اتفقت السورتان على أن الناس في جانب الهداية قسمان لا ثالث لهما.

- جاءت آيات سورة الليل تفصيلا لما أجمل في سورة الشمس، ففي سورة الشمس جاء الحديث مجملا بفلاح من زَكّى نفسه وطهرها بالطاعات وخيبة من دساها بإظهار الفجور عليها، وفي سورة الليل فصّل أفعال الفلاح والخيبة، يقول السيوطي: "سورة الليل تفصيل إجمال سورة الشمس، فقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: 5] وما بعدها، تفصيل قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:9]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل:8] الآيات، تفصيل قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:10]. (السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. بدون تاريخ. ص160)

- أما مناسبة سورة الليل لسورة الضحى بعدها أنه "لما حكم في آخر سورة الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبي ﷺ أتقى الخلق مطلقا وكان قد قُطع عنه الوحي حينًا ابتلاءً لمن شاء من عباده، وكان به ﷺ صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم، أقسم **عزّ وجلّ** بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا وأخرى" (البقاعي. 1995م. مج8. ص452) قال السيوطي: "سورة الضحى متصلة بسورة الليل من وجهين، فإن فيها: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل:13] وفي الضحى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[الضحى:4]، وفي الليل: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:21] وفي الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:5]" (السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. بدون تاريخ. ص160).

- لما ذكر عزّ وجلّ في سورة الليل قوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل:17] وكان النبي ﷺ سيد الأتقياء ذكر تعالى في سورة الضحى نعمه عليه. (انظر الزحيلي. 1408هـ. مج3. ص379).

- لما خُتمت سورة الليل بوعدٍ كريم من المولى جلّ جلاله بإرضاء الأتقى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:21] أكّد ذلك الوعد لنبيه ﷺ فهو أولى الناس بالإرضاء فقال ﷻ في سورة الضحى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:5].

- أن سورة الليل في ذكر أبي بكر الصدّيق **رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ** وهو أعلى الناس في الصّدّيقية، وسورة الضحى في ذكر النبي ﷺ وهو أعلى الناس في النبوة مع الفارق الكبير في العطاء والخطاب. (انظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. بدون تاريخ. ص160).

ثالثاً: محور السورة وموضوعاتها:

محور هذه السورة المباركة سعي الإنسان وعمله وجزاؤه في الآخرة. ومن موضوعاتها تصنيف الناس بحسب أعمالهم، تنويها بشأن المؤمن ممن يتزكّى بماله وذكرا لفضائل أعماله، وتنديدا بالمشرك وذكرا لمساوئ أعماله فعن ابن عباس **رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ** أنه قال :(إني لأقول إن هذه السورة نزلت في السماحة والبخل) (أورده السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. 2003م. مج8. ص533. وعزاه إلى ابْن مرْدَوَيْه؛ وانظر الشوكاني، مُحَمَّد بن علي.1414هـ. مج5. ص451)، كذا دلالة الخلق وإرشادهم إلى الخير، فمن اختار طريقه فسيجزى بخير الحياتين، والضالين بعكس ذلك. وفيها بيان حكمة إرسال مُحَمَّد ﷺ رسولا؛ وهي التذكير بالله وما عنده فينتفع من يخشى فيفلح ويصدف عن الذكرى من كان شقيا فيكون جزاؤه النار، يقول الفيروز آبادي: "مقصود السّورة القسم على تفاوتُ حال الخَلق في الإساءَة والإحسان، وهدايتُهم إلى شأْن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيبُ بعض بالجِنان والبدارُ إلى الصّدقة كفارةً للذنوبِ والعصيان، ووعد برضى الرحمن المنّان". (الفيروزآبادي. بدون تاريخ. مج1. ص523).

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لسورة الليل:

قوله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل:1] أقسم سبحانه في صدر هذه السورة بالليل إذا غشي النهار، فأذهب نوره، وغطّى بظلمته ما كان مضيئا. (انظر الطبري. 2000م. مج24. ص465، البغوي. 1426هـ. مج8. ص442) قال السيوطي: "قال ابن عباس: إذا أظلم". (أورده السيوطي. 2003م. مج15. ص466. وعزاه إلى ابن المنذر) فهي في معنى قوله تعالى ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ [الأعراف: من الآية 54]، وقيل: يغشى الأرض وجميع ما فيها بظلامه. قال السيوطي: "قال سعيد بن جبير: إذا أقبل فغطى كل شيء". (أورده السيوطي. 2003م. مج15. ص466. وعزاه إلى عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم) قال الواحدي: "قال الزجاج: يَغْشَى الليل الأفق وجميع ما بين السماء والأرض فيُذهب ضوء النهار".(الواحدي. 1994م. مج4. ص501).

وفي الليل آيات عظام "خصّ منها بالذكر ما في الليل من الدلالة من حالة غشيانه الجانِب الذي يغشاه من الأرض، ويغشى فيه من الموجودات فتعمها ظلمته فلا تبدو للناظرين؛ لأن ذلك أقوى أحواله" (ابن عاشور. 1997 م. مج30. ص378)، ثم أقسم الله **عزّ وجلّ** بالنهار في أقوى أحواله كذلك، وهو حال تجلّيه وظهوره فقال ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل:2] أي "ظهر ظهورا عظيما بضياء الشمس، وأظهر ما كان خفيا فلم يدع لمبصرٍ شيئا من لبس". (البقاعي. 1995م. مج8. ص446) وفي القسم بهاتين الآيتين ما ينبئ عن عظمتها ومنفعتها، والاعتبار بما اشتملتا عليه من آيات القدرة وبراهين الحكمة والربوبية، قال ابن تيمية: "وذلك يقتضي تعظيم قدر الْمُقْسَمِ به، والتنبيه على ما فيه من الآيات والعبرة والمنفعة للناس، والإنعام عليهم وغير ذلك". (ابن تيمية. 1995م. مج35. ص177) وقد أشار سبحانه في كثير من الآيات إلى عظم هاتين الآيتين، وجعل سبحانه تعاقبهما من خصائص ربوبيته وتفرده قال تعالى ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [القصص:71-72] و ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:54] كما أشار عز وجل إلى نفع تعاقبهما في احتساب الأيام والشهور والسنين، ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء:12] و ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام :96] ولا يخفى أن بعض العبادات مخصوصةٌ بأزمنة معينة لا يمكن أداؤها إلا فيها، فلو لم نعلم عدد السنين والحساب لما تمكّنا من القيام بها. وكما أن الليل والنهار آيتان من آيات الله فهما نعمتان عظيمتان من نعمه التي وضحتها آيات سورة القصص السابق ذكرها، وفي قوله تعالى ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النمل:86] يقول ابن كثير: "أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ أي فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم، وتهدأ أنفاسهم، ويستريحون من نصب التعب في نهارهم، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا أي: منيرا مشرقا؛ فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش والمكاسب، والأسفار والتجارات، وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها" (ابن كثير. 1999م. مج6. ص215)، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل:12] قال السعدي: "سخر لكم هذه

الأشياء لمنافعكم وأنواع مصالحكم بحيث لا تستغنون عنها أبدا، فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون في معايشكم ومنافع دينكم ودنياكم، وبالشمس والقمر من الضياء والنور والإشراق، وإصلاح الأشجار والثمار والنبات، وتجفيف الرطوبات، وإزالة البرودة الضارة للأرض وللأبدان، وغير ذلك من الضروريات والحاجيات التابعة لوجود الشمس والقمر، وفيهما وفي النجوم من الزينة للسماء والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة ما تتنوع دلالاتها وتتصرف آياتها، ولهذا جمعها في قوله﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي لمن لهم عقول يستعملونها في التدبر والتفكر فيما هي مهيأة له مستعدة تعقل ما تراه وتسمعه، لا كنظر الغافلين الذين حظهم من النظر حظ البهائم التي لا عقل لها". (السعدي. 2000. ص437) "وبهذا يظهر وجه المصلحة في اختلافهما، إذ لو كان الدهر كله ليلا؛ لتعذر المعاش على الناس، ولو كان كله نهارا لبطلت المصلحة، فكان في تعاقبهما آية بالغة يستدل بها على علم الصانع وحكمته." (المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص174) وحيث أن غرض السورة إظهار البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، ناسب اختيار القسم بالليل والنهار لما بينهما من بونٍ شاسع.

ومما يُلْحظ ابتداء القسم في هذه السورة بالليل ثم النهار، بخلاف سورة الشمس قبلها فقد أقسم سبحانه فيها بالنهار ثم الليل؛ وذلك لمناسبته زمان نزولها فإن هذه السورة "نزلت قبل سورة الشمس بمدة، وهي سادسة السور نزولا، وأيَّامئذٍ كان الكفر مخيماً على الناس إلا نفراً قليلاً، وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بالإشارة إلى تمثيلها بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار" (ابن عاشور. 1997م. مج30. 378) وقيل: "لما كان المقسم عليه هنا سعى الإنسان وغالبه المعاصي قدم الليل الذي هو مظنة الظلمة". (الشافعي. 1990م. ص376).

ثم إنه تعالى لما ذكر المتخالطين معنىً أتبع ذلك بذكر المتخالطين حسّا، فقال مصرحًا فيهما بما هو مراد في الأول (انظر البقاعي. 1995. مج8. ص446) ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [الليل:3]، وفي معنى (ما) قولان: (انظر الطبري. 2000م. مج24. ص465؛ الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص452) أولهما أنها موصولة، والمعنى (ومَن خلق الذكر والأنثى) فيكون هذا قسمًا بنفسه تعالى. "وعبر عن (مَن) بما للدلالة على الوصفية، ولقصد التفخيم". (الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص452) ثانيهما: أنها مصدرية، والمعنى (وخَلْقُ الذكر والأنثى) فيكون قسما بخلقه الذكر والأنثى. قال الماوردي: "وهو الأشبه، ويكون قسمه بهما تشريفا وتكريما" (انظر الماوردي. بدون تاريخ. مج6. ص287).

وقيل المراد بالذكر والأنثى آدم وحواء، والأظهر القول بالعموم فيعم كل ذكر وأنثى؛ "فيتضمن الإقسام بالحيوان كله على اختلاف أصنافه، ذكره وأنثاه". (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص55) قال الشنقيطي: "خصَّ الذكر والأنثى؛ لما فيهما من بديع صُنْع الله وقوة قدرته سبحانه"، (الشنقيطي. 1995م. مج8. ص545) وقال عبد القادر العاني: "وفي هذا تنبيه عظيم على قدرة القادر وعظمها وكمالها، لأن النطفة واحدة ويكون فيها أنثى وذكر بتقديره، وهذا مما لم يصل إليه الفهم ولم يتصوره العقل بعد، لأنهم حتى بعد تكوينه ووجوده في الرحم لم يعرفوا ما في الرحم هل هو ذكر أم أنثى حتى ولا بعد تمام خلقه، لذلك كان في الخمس التي لا يعلمهن على الحقيقة إلا الله". (العاني. 1965م. مج1. ص207) وخصه ابن عاشور بالإنسان فقال: "والذكر والأنثى صنفا أنواع الحيوان والمراد خصوص خلق الإنسان وتكونه من ذكر وأنثى كما قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]؛ لأنه هو المخلوق الأرفع في عالم الماديات وهو الذي يدرك المخاطَبون أكثرَ دقائقه لتكرره على أنفسهم ذُكورهم وإناثهم بخلاف تكوّن نسل الحيوان فإن الإنسان يدرك بعض أحواله ولا يُحصي كثيراً منها" (ابن عاشور. 1997 م. مج30. ص379).

والقسم منه سبحانه بزمان السعي وبالساعي على اختلاف السعي إذ جواب القسم قوله ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:4]، فساع في فِكاك نفسه، وساع في عطبها، ا(نظر الثعلبي. 2015م. مج29. ص442؛ البغوي. 1426هـ. مج8. ص442؛ القرطبي. 2003 م. مج20. ص82) عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».(رواه مسلم بن الحجاج. بدون تاريخ. مج1. ص203. كتاب الطهارة. باب فضل الوضوء. ح (223)).

والخطاب في الآية لسائر المكلفين، مؤمنهم وكافرهم. واستعير السعي –وهو المشي الحثيث– للعمل والكد، وكُنّي عن الأعمال المختلفة بقوله (شتّى)، والمعنى "إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتًا كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غايةٌ مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها، وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى". (السعدي. 2000. ص926) وقد ظهر التناسب جليًا بين المقسم به والمقسم عليه؛ فكما اختلف الليل عن النهار، والذكر عن الأنثى، اختلف سعي العباد "فسعي الناس منه خير ومنه شر وهما يماثلان النور والظلمة، وأن سعي الناس ينبثق عن نتائجَ منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر والأنثى ذريةً صالحةً وغير صالحة". (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص378) قال ابن القيم: " كما اختلف الليل والنهار، والذكر والأنثى، وسعيه وزمانه مختلف، وذلك دليلٌ على اختلاف جزائه وثوابه، وأنه سبحانه لا يُسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء، كما لم يسو بين الليل والنهار، والذكر والأنثى". (ابن قيم الجوزية. ابدون تاريخ. ص56).

والإجمال في قوله ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:4] يحمل النفس على طلب التفصيل؛ من هنا فرّع وفصّل للإجمال بقوله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:5–10] قال النسفي: "وبيان الاختلاف فيما فصّل على إثره"، (النسفي. 2005م. مج4. ص277) "والمحتاج للتفصيل هنا هو السعي المذكور، ولكن جعل التفصيلُ ببيان الساعين؛ لأن المهم هو اختلاف أحوال الساعين ويُلازمهم السعي فإيقاعهم في التفصيل بحسب مساعيهم يساوي إيقاع المساعي في التفصيل، وهذا تفنن من أفانين الكلام الفصيح يحصل منه معنيان" (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص381).

قوله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل:5] وردت (مَن) في سياق الشرط فأفادت العموم، فالآية وإن نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ حين اشترى بلالا فأعتقه، (أخرج ابن أبي حاتم. 1419هـ. مج10. ص3440؛ وأبو الشيخ، وَابن عساكر كما قاله السيوطي. 2003م. مج15. ص471). عن ابن مسعود أن أبا بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه لله فأنزل الله (وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى) إلى قوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) سعي أبي بكر وأمية وأبي.) لكنها عامة في كل من يفعل الإعطاء، ويتقي، ويصدق بالحسنى؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأطلق الإعطاء ليعم كل عطاءٍ وإن قلّ، قال ابن القيم: "حذف مفعول الفعل إرادةً للإطلاق والتعميم، أي أعطى ما أُمر به وسمحت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك يتناول إعطاءه من نفسه الإيمان والطاعة والإخلاص والتوبة والشكر وإعطاءه الإحسان والنفع بماله ولسانه وبدنه ونيته وقصده فتكون نفسه نفساً مطيعة باذلة لا لئيمة مانعة" (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص56).

ومن المفسرين من خصّ العطاء بالمال؛ (انظر الطبري. 2000م. مج24. ص468؛ ابن كثير. 1999م. مج8. ص417؛ الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص452) لكونه ظاهر الآية، ولوقوعه في مقابل البخل الذي يستعمل غالبا في البخل بالمال. يشهد لهذا المعنى حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما مِن يَومٍ طَلَعتْ شَمسُه إلَّا وكان بجَنبَتَيْها مَلَكانِ يُناديانِ نِداءً يَسمَعُه خَلقُ اللهُ كُلُّهم غَيرَ الثَّقَلَيْنِ، يا أيُّها الناسُ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكم؛ إنَّ ما قَلَّ وكَفى، خَيرٌ مِمَّا كَثُرَ وألْهى، ولا آبَتِ الشَّمسُ إلَّا وكانَ بجَنبَتَيْها مَلَكانِ يُناديانِ نِداءً يَسمَعُه خَلقُ اللهِ كُلُّهم غَيرَ الثَّقَلَيْنِ اللَّهُمَّ أعْطِ مُنفِقًا خَلَفًا، وأعْطِ مُمسِكًا تَلَفًا، وأنزَلَ اللهُ في ذلك قُرآنًا في قَولِ المِلكَيْنِ: يا أيُّها الناسُ هَلُمُّوا إلى رَبِّكم، في سُورةِ يُونُسَ : ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰط مُّسْتَقِيم ﴾ [يونس: 25] وأنزَلَ اللهُ في قَولِهما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنفِقًا خَلَفًا، وأعْطِ مُمسِكًا تَلَفًا ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾. (أخرجه ابن حنبل. 1999م. مج36. ص53؛ وابن حبان. 1988م. مج8. ص121–122. وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم؛ وأخرجه الحاكم. 2003م. مج2. ص444. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ ومن طريقه البيهقي. 2003م. مج3. ص233. وهذا لفظه) وهو ما رجحه ابن عطية عند تفسير قوله ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل:11] لمناسبته سياق الآيات بعدها فقال: "ثم وقف تعالى على موضع غناء ماله عنه وقت تردیه، وهذا يدل على أن الإعطاء والبخل المذكورين إنما هما في المال"؛ (ابن عطية، عبد الحق بن غالب. 1422هـ. مج5. ص491) وعليه فيكون حذف المفعول من الفعل (أَعْطَىٰ)

وإطلاقه لشهرة استعماله في إعطاء المال دون غيره، يقول ابن عاشور: "وحُذِف مفعول (أَعْطَىٰ) لأن فعل الإعطاء إذا أريد به إعطاء المال بدون عوض، يُنزَّل منزلَة اللازم لاشتهار استعماله في إعطاء المال ولذلك يسمى المالُ الموهوب عَطاءً، والمقصود إعطاء الزكاة". (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص382) قوله (وَٱتَّقَىٰ) أي الله بآداء فرائضه واجتناب محارمه، وإنما حذف المفعول للعلم به، وقيل اتقى البخل. والتقوى تشمل الإعطاء، وهو داخل فيها لكنه خُصّ بالذكر للتحريض عليه. (انظر ابن عاشور. 1997م. مج30. ص386)

قوله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:6] جاء في معنى الحسنى أقوال كثيرة متقاربة، حاصل الاختلاف بينها يرجع إلى معنيين: أولهما صدّق بالحسنى أي صدق بالخَلَف من الله على نفقته، ورجحه الطبري من جهة أن الله تعالى "ذكر قبله مُنفقا أنفق طالبًا بنفقته الخلف منها، فكان أولى المعاني به أن يكون الذي عقيبه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف إذ كانت نفقته على الوجه الذي يرضاه". (الطبري. 2000م. مج24. ص470) ثانيهما صدق بالجنة، ورجحه الشنقيطي لشهادة القرآن له من حيث المعنى، وذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:26]، "فقالوا الحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، وهذا المعنى يشمل كل المعاني؛ لأنها أحسن خَلَفٍ لكل ما ينفق العبد، وخيرٌ وأحسن مجازاةً على أي عملٍ مهما كان". ا(لشنقيطي. 1995م. مج8. ص548) وذهب ابن القيم إلى الجمع بينهما فقال: "ومن فسر الحسنى بالجنة فسرها بأعلى أنواع الجزاء وكماله، ومن فسرها بالخلف ذكر نوعاً من الجزاء فهذا جزاء دنيوي والجنة الجزاء في الآخرة فرجع التصديق بالحسنى إلى التصديق بالإيمان وجزائه والتحقيق أنها تتناول الأمرين" (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص60) وبنحو ذلك قال ابن عاشور. (انظر ابن عاشور. 1997م. مج30. ص383).

والآية باشتمالها على الإعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى، انتظمت الدين، وجمعت العلم والعمل؛ فالدين "يدور على ثلاث قواعد فعل لمأمور وترك لمحظور وتصديق الخبر، وقد تضمنت هذه الكلمات الثلاث مراتب الدين أجمعها فالإعطاء فعل المأمور، والتقوى ترك المحظور، والتصديق بالحسنى تصديق الخبر فانتظم ذلك الدين كله، وأكمل الناس من كملت له هذه الثلاث ودخول النقص بحسب نقصانها أو بعضها" (انظر ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص61)

قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:7] أي سنهيئه، (الفراء. بدون تاريخ. مج3. ص271) واليسرى هي الأعمال الصالحة، ووجه وصفها بذلك باعتبار عاقبتها لصاحبها؛ (انظر ابن عاشور. 1997م. مج30. ص383) فهي سبب دخول الجنة ونيل المكانة العالية عند الله تعالى. ومعنى تيسيره لها أن الله **عزّ وجلّ** سيهيئه للعمل بما يرضاه منه في الدنيا ويوجب له الجنة في الآخرة، قال البقاعي: "نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه لليسرى أي الخصلة التي هي في غاية اليسر والراحة من الرحمة المقتضية للعمل بما يرضيه **سبحانه وتعالى** ليصل إلى ما يرضى به من الحياة الطيبة ودخول الجنة"، (البقاعي. 1995م. مج8. ص447) وقال المراغي: "فسنهيئه لأيسر الخطتين وأسهلهما في أصل الفطرة، وهو تكميل النفس إلى أن تبلغ المقام الذي تجد فيه سعادتها" (المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص176).

وأسند التيسير إليه تعالى لكون الطاعة في نفسها في غاية اليسر، إلا أنها ثقيلة شاقة على النفس إلا بتيسير الله لها. ويُلحظ في الآية أن الله تعالى قد رتب التيسير لليسرى على أمور ثلاثة، أولها الإعطاء، فإن مَن عوّد نفسه العطاء، وأحسن إلى الغير، وبذل للناس ما ينفعهم يسره الله تعالى لليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء. ثانيها: التقوى، فالمتقي ييسر الله له مالا ييسره لغيره لوعده بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:من الآية 4]. ثالثها: التصديق بالحسنى، قال ابن عاشور: "وإذ كان الوعدُ بتيسير اليُسرى لصاحب تلك الصلات الدالة على أعمال الإعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى كان سلوك طريق الموصولية للإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو التيسير فتعين أن التيسير مُسبَّب عن تلك الصلات، أي جزاءٌ عن فعلها فالمتيسر تيسير الدوام عليها" (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص386)

وبعد أن ذكر سبحانه المزكي نفسه وثمرة تزكيته لها، ثنّى بذكر من دساها وجزائه فقال ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:8-10] قوله (وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ) أي بماله فأمسكه عن الإنفاق فيما يقرب إلى الله مما أمر به وندب إليه، قال الطبري: "بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها". (الطبري. 2000م. مج24. ص471) قوله (وَٱسْتَغْنَىٰ) فيه معنيان، (الطبري. 2000م. مج24. ص471؛ الماوردي. بدون تاريخ. مج6. ص288؛ ابن

كثير. 1999 م. مج8. ص417؛ الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص452) أولهما: استغنى عن ربه فلم يتقه ولم يرغب إليه بالعمل بطاعته؛ إذ الاستغناء ههنا مقابل التقوى في الآية السابقة. قال السعدي: "استغنى عن الله، فترك عبوديته جانبًا، ولم ير نفسه مفتقرةً غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه". (السعدي. 2000م. ص926) ثانيهما: استغنى بماله عمّا وعد الله المنفق من مضاعفة الثواب، قال ابن عطية: "ومن جعل بخل في المال خاصة جعل استغنى في المال أيضا لتعظم المذمة، ومن جعل البخل عاما في جميع ما ينبغي أن يبذل من قول وفعل قال استغنى عن الله ورحمته بزعمه". (ابن عطية. 1422هـ. مج5. ص491) وقد أثار ابن القيم ههنا سؤالا وأجاب عنه فقال: "فإن قيل كيف قابل اتقى باستغنى؟ وهل يمكن العبد أن يستغني عن ربه طرفة عين؟ قيل: هذا من أحسن المقابلة فإن المتقي لما استشعر فقره وفاقته وشدة حاجته إلى ربه اتقاه ولم يتعرض لسخطه وغضبه ومقته بارتكاب ما نهاه عنه... فقابل التقوى بالاستغناء تبشيعًا لحال تارك التقوى ومبالغةً في ذمه بأن فَعَل فِعْل المستغني عن ربه لا فعل الفقير المضطر إليه الذي لا ملجأ له إلا إليه ولا غنى له عن فضله وجوده وبره طرفة عين" (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص63) قوله ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل:9] أي كذب بالخَلَف، وقيل: بالجنة. ولا مانع من حمل الآية عليهما كما تقدم عند تفسير قوله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل:6] قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:10] السين في قوله (فَسَنُيَسِّرُهُ) في الموضعين للتسويف وهي من الله محققة، أو للتلطيف والمقصود أن التيسير حاصل في الحال لكن أتى بالسين الدالة على الاستقبال والتأخير لتلطيف الكلام وترقيقه باحتمال ألاّ يكون التيسير حاصلاً في الحال لنكات تقتضي ذلك. (انظر القنوجي. 1992م. مج15. ص265؛ الهرري. 2001م. مج32. ص65) ومعنى (فَسَنُيَسِّرُهُ) أي "نهيئه بما لنا من العظمة وعد لا خلف فيه ...وأشار بنون العظمة في كل من نجد الخير ونجد الشر إلى أن ارتكاب الإنسان لكل منهما في غاية البعد، أما نجد الخير فلما حفه من المكاره، وأما نجد الشر فلما في العقل والفطرة الأولى من الزواجر عنه" (البقاعي. 1995م. مج8. ص448).

والعسرى هي المعاصي والأعمال السيئة، وصفت بذلك باعتبار عاقبتها على صاحبها، (انظر ابن عاشور. 1997م. مج30. ص383) وقيل العسرى الحال السيئة في الدنيا والآخرة. (ابن عطية. 1422هـ. مج5. ص491) قال ابن عاشور: "والعسرى إما الحالة وهي حالة العسر والشدة، أي العذاب، وإما مكانته وهي جهنّم؛ لأنها مكان العسر والشدائد على أهلها"، (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص383) ومعنى تيسيره للعسرى أن يجري الله تعالى الشر على يديه، ويهيئه للعمل بما يكرهه ولا يرضاه، مما يوجب له دخول النار. (الطبري. 2000م. مج24. ص473؛ الماوردي. بدون تاريخ. مج6. ص288؛ ابن كثير. 1999م. مج8. ص417) قال الشوكاني: "فسنهيئه للخصلة العسرى ونسهلها له حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك إلى النار." (الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص452) واعترض أبو حيان بأن العسرى لا تيسير فيها، وأنه جيء بهذه الآية على وجه المقابلة لقوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل:7]، (انظر أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف. 2001م. مج8. ص478) وتعقبه الشنقيطي بقوله: "وهذا من حيث الأسلوب ممكن، ولكن لا يبعد أن يكون معنى التيسير موجودًا بالفعل، إذ المشاهد أن من خذلهم الله –عياذًا بالله– يوجد منهم إقبال وقبول وارتياح، لما يكون أثقل وأشق ما يكون على غيرهم، ويرون ما هم فيه سهلاً ميسراً لا غضاضة عليهم فيه، بل وقد يستمرؤون الحرام ويستطعمونه." (الشنقيطي. 1995م. مج8. ص548) ووجهه الطبري بأنه "إذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشرّ جاز ذلك بالتيسير فيهما جميعا" (انظر الطبري. 2000م. مج24. ص473).

والآيات واردة في المقابلة بين أبي بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ الذي ﴿أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل: من الآية 5-6] وبين غيره من المشركين ممن ﴿بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل: من الآية8-9]، وهي بلفظها عامة في كل من اتصف بالصفات المذكورة في الآيات؛ لأن العبرة بعموم اللفظ. ويؤخذ من الآيات أن من فعل طاعةً حملته على غيرها، ومن فعل سيئةً جرته لأختها، وأن من قصد الخير وُفّق له، ومن قصد الشر خُذل جزاءً وفاقا. قال ابن كثير: "قال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها"، (ابن كثير. 1999م. مج8. ص417) وقال المراغي: "وفاعل الخير للخير يجد أريحيّة في نفسه، ويذوق لذة لا تعدلها لذة، فتزيد فيه رغبته، وتشتد لفعله عزيمته... ومن مرنت نفسه على الشر وتعودت الخبث فيسهل الله له الخطة العسرى، وهي الخطة

التي يحط بها قدر نفسه، وينزل بها إلى حضيض الآثام ويغمسها في أوحال الخطيئة"، (انظر المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص177) ولهذا المعنى شواهد عدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذلك قوله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام 110] قال الألوسي: "وهذا التقليب ليس مع توجه الأفئدة والأبصار إلى الحق واستعدادها له، بل لكمال نبوّها عنه وإعراضها بالكلية، ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارا بأصالتهم في الكفر، وحسما لتوهم أن عدم إيمانهم ناشئ من تقليبه- تعالى- مشاعرهم بطريق الإجبار"، (الألوسي. 1415هـ. مج4. ص240) وقد ثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ؟ فَقَالَ: لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» " (رواه البخاري. 1422هـ. كتاب الجنائز. باب موعظة المحدّث عند القبر وقعود أصحابه حوله. مج2. ص96. ح [1362]. وكتاب التفسير. بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى}. مج6. ص171. ح [4948]. وكتاب القدر. باب (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا). مج8. ص123. ح [6605]. ورواه مسلم بن الحجاج. بدون تاريخ. كتاب القدر. باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه. مج4. ص2039 – 2040. ح [2647]).

وليس فيما سبق من نصوص دليلا على ترك العمل وإسقاط الأسباب استنادا على ما سبق في القدر، بل إن هذا أصل فاسد مخالف للكتاب والسنة والإجماع، مناقض للعقل والحس يقول ابن القيم: " فتأمل قوله ﷺ (اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) ومطابقته لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل:5] إلى آخر الآيتين كيف انتظم الشرع والقدر والسبب والمسبب، وهذا الذي أرشد إليه النبي ﷺ هو الذي فطر الله عليه عباده بل الحيوان البهيم بل مصالح الدنيا وعمارتها بذلك... فإذا كان هذا في مصالح الدنيا وأسباب منافعها فما الموجب لتعطيله في مصالح الآخرة وأسباب السعادة والفلاح فيها ورب الدنيا والآخرة واحد فكيف يعطل ذلك في شرع الرب وأمره ونهيه ويستعمل في إرادة العبد وأغراضه وشهواته وهل هذا إلا محض الظلم والجهل" (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص65).

وبعد أن ذكر سبحانه أن البخل بالمال سبب للتيسير للعسرى، ودخول النار "وقف في الآية على موضع غناء ماله عنه وقت ترديه" (ابن عطية. 1422هـ. مج5. ص491) فقال ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل:11] أي " أي شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه، ماله يوم القيامة إذا هو تردى"، (الطبري. 2000م. مج24. ص476) وقال المراغي: " أي وإذا يسرناه للعسرى فأي شيء يغنى عنه ماله الذي بخل به على الناس ولم ينفقه في المصالح العامة، وفيما يعود نفعه على الجماعة، ولم يصحب منه شيئا إلى آخرته التي هي موضع حاجته وفقره". (المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص177).

ويجوز في (ما) وجهان، أحدهما: أن تكون نافية، وتقدير الآية وسَوْف لا يغني عنه ماله إذا تردى، ثانيهما: أن تكون استفهامية ويكون الاستفهام للإنكار؛ فيكون نافياً للإغناء على أبلغ وجه. (انظر البقاعي. مج8. ص446؛ الشنقيطي. 1995م. مج8. ص549-550؛ ابن عاشور. 1997م. مج30. ص387) وجاءت (إذا) دون (إن) في قوله (إذا تردى) لتؤكد حصول التردي لمن استغنى بماله عن الله في الدنيا والآخرة. هذا وقد اختلف المفسرون في معنى (تَرَدَّىٰٓ) فقال بعضهم معناه سقط في جهنم فهوى، وقال آخرون: معناه مات وهلك. ورجح الطبري أولهما لموافقته العربية؛ فإنه من المعروف في لغة العرب أنه إذا قيل (تَرَدَّىٰٓ) فالمقصود في جهنم، ولو أريد بالتردي الموت لقيل رَدِي، وقلّ أن يقال تردّى. (انظر الطبري. 2000م. مج24. ص476) والقاعدة التفسيرية التي تنصّ على أن نصوص الكتاب تُحمل على معهود الأميين في الخطاب (انظر السبت. 1421هـ. مج1. ص244) تقوي ما رجحه الإمام الطبري. و في القرآن الكريم آيات دالةٌ على ما دلت عليه هذه الآية من أن البخل بالمال سبب ليكون مآل العبد النار يوم القيامة منها قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران 180] قال الألوسي: "بيان لحال البخل وسوء عاقبته، وتخطئة لأهله في دعواهم خيريته عقب بيان حال الإملاء"، (الألوسي. 1415هـ. مج2. ص350) وقال السعدي: "يجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم، يعذبون به "، (السعدي. 2000م. ص185) كذا دل القرآن على أن المال لا يغني من عذاب الله شيئا، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88-89] قال ابن كثير: "لا يقي المرءَ من عذاب الله مالُه، ولو افتدى

بملء الأرض ذهبا" (ابن كثير. 1999م. مج6. ص149) وقوله تعالى ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾ [الحاقة: 28] قال الطبري: " لم يدفع عنه ماله الذي كان يملكه في الدنيا من عذاب الله شيئا"، (الطبري. 2000م. مج23. ص588) وقال السعدي: "التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله". (السعدي. 2000م. ص883).

ثم استأنف الكلام بجملة مقررة لما قبلها فقال **عزّ وجلّ** : ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾ [الليل: 12] وفي معنى الآية أقوال، (انظر الطبري. 2000م. مج24. ص476-477؛ ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص69؛ ابن عاشور. 1997م. مج30. ص388) أولها: أن الهدى ههنا يراد به هداية الإرشاد والدلالة، وتبيين الحق من الباطل والطاعة من المعصية والحلال من الحرام، فيكون معنى الآية "إن علينا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع." (النسفي. 2005م. مج4. ص277) فعلى الله تعالى الإرشاد للناس جميعا، وتعريفهم بسبيل الهدى والضلال، ومنحهم الإدراك، وعليهم الاختيار وسلوك السبيل الذي قُدّر لهم؛ وقد بيّن **عزّ وجلّ** في كتابه بما لا مزيد عليه، وأعذر إلى عباده بتبيين كلا السبيلين، وذكر حال سالكيها وجزائهم؛ ترغيبا في سلوك سبيل الهدى، وترهيبا من سلوك سبيل الضلال، قال ابن عاشور: "ذلك لإلقاء التبعة على من صار إلى العسرى بأن الله أعذر إليه إذ هداه بدعوة الإسلام إلى الخير فأعرض عن الاهتداء باختياره اكتسابَ السيئات، فإن التيسير لليسرى يحصل عند ميل العبد إلى عمل الحسنات، والتيْسير للعسرى يحصل عند ميله إلى عمل السيئات." (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص388) ثانيها، وهو قول الفراء: إن علينا للهدى والإضلال، فحذف الإضلال. (هذا القول من الأقوال المحدثة، والمخالفة التي لم يعرفها السلف، ومعناه: بيدك الخير والشر، والنبي ﷺ يقول: (والخير في يديك، والشر ليس إليك). والله تعالى خالق كل شيء، لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، والقدر حق، لكن فَهْم القرآن، وَوَضْع كل شيء موضعه، وبيان حكمة الرب، وعدله مع الإيمان بالقدر، هو طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ابن تيمية. 1995م. مج15. ص211. فالله ﷻ إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر، فقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 26]. وأخطأ من قال: المعنى: بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه: أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف، بل ترك ذكره قصدًا أو بيانًا أنه ليس بمراد. الثاني: إن الذي بيد الله تعالى نوعان: فضل وعدل. الثالث: إن قول النبي ﷺ: (لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك) كالتفسير للآية، ففرق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء. وهذا القول في الخير والشر ينطبق على ما جاء بالقول علينا الهدى والضلال، وذلك لأن الضلال من الشر، فالشر لا يُضاف إلى الرب تعالى لا وصفًا ولا فعلًا ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجه وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم. انظر ابن قيم الجوزية. 1398هـ. ص 271)، وضعف ابن القيم أن يكون أحد هذين القولين هو معنى الآية. (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص69).

ثالثها، مَن سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله، قاله مجاهد. وهذا القول هو أصح الأقوال في معنى الآية. فطريق الهدى دالٌّ على الله موصل إليه بخلاف طريق الضلال قال الواحدي: "إن الهدى يوصل صاحبه إلى الله وإلى ثواب الله وجنته" (الواحدي. 1430هـ. مج24. ص84) وقال ابن القيم: "وهذا المعنى في القرآن في ثلاث مواضع ههنا، وفي النحل في قوله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النحل:9]، وفي الحجر في قوله ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾ [الحجر:41] وهو معنى شريف جليل يدل على أن سالك طريق الهدى يوصله طريقه إلى الله ولا بد، والهدى هو الصراط المستقيم فمن سلكه أوصله إلى الله فذكر الطريق والغاية فالطريق الهدى، والغاية الوصول إلى الله، فهذه أشرف الوسائل وغايتها أعلى الغايات." (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص70).

ومما قد يُشكل على الآية -إن فسرت بأحد القولين الأولين- أن الله تعالى قد التزم للخلق عليه الهدى، لكن بعض الخلق لم يهدهم الله، وجوابه أن الهدى المراد ههنا هدى الدلالة والإرشاد، وهو عام لجميع الخلق، لا هدى التوفيق لقبول الحق الذي هو خاص بالمؤمنين. (انظر الشنقيطي. 1996م. ص273).

ثم زاد الله تعالى الأمر توكيدا، فأبان عظيم قدرته بقوله ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ [الليل:13] ملكا وتصرفا، فلا يشركه **سبحانه وتعالى** في ملكهما والتصرف فيهما أحد؛ مما يستوجب خلوص الرغبة إليه، وانقطاع الرجاء عن غيره، فإنه "لما كان مطلوب السالك إلى الله تحصيل مصالح دنياه وآخرته لم يتم له هذا المطلوب إلا

بتوحيد طلبه والمطلوب منه فأعلمه سبحانه أن سواه لا يملك من الدنيا والآخرة شيئاً وأن الدنيا والآخرة جميعاً له وحده، فإذا تيقن العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده"، (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص70) أو أن إخباره تعالى بأن له الآخرة والأولى؛ لتبيين غناه التام عن خلقه، فإنه لا يضره ضلال الضالين، ولا ينفعه اهتداء المهتدين قال المراغي: " أي وإنا لنحن المالكون لكل ما في الدنيا وكل ما في الآخرة، فنهب ما نشاء لمن نريد، ولا يضيرنا أن يترك بعض عبادنا الاهتداء بهدينا الذي بيّناه لهم، ولا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى منهم، لأن نفع ذلك وضره عائد إليهم، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما ربك بظلام للعبيد." (المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص179).

وقدم الآخرة على الأولى؛ للاهتمام بشأنها، ولكونهم كانوا منكرين لها مكذبين بها قال البقاعي: " وقدم ما العناية به أشد لأجل إنكارهم لا للفاصلة، فإنه يفيده مثلاً أن يقال للعاجلة والأخرى" (البقاعي. 1995م. مج8. ص449).

"ولما أقام سبحانه الدليل وأنار السبيل وأوضح الحجة وبين المحجة أنذر عباده عذابه الذي أعده لمن كذب خبره وتولى عن طاعته" (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص71) فقال ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل:14] اللظى: اللهب الخالص. (الشنقيطي. 1995م. مج8. ص550) وتنكير (نارا)، للتهويل والتفخيم. والمعنى خوفتكم نارا تتقد وتتوهج وتلتهب "تلهباً هو في غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدها أصلاً ولا أحد من خزنتها بما أشار إليه إسقاط التاء" (البقاعي. 1995م. مج8. ص449) قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فأنذرتكم أيها الناس نارا تتوهَّج، وهي نار جهنم، يقول: احذروا أن تعصوا ربكم في الدنيا، وتكفروا به، فَتصْلَوها في الآخرة" (الطبري. 2000م. مج24. ص477).

قوله ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل:15] الأشقى الذي بلغ ذروة الشقاوة وهو الكافر بدليل قوله بعدها ﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:16] والمعنى لا يدخلها للخلود فيها إلا الكافر، قال الشوكاني: "لا يصلاها صليا لازما على جهة الخلود إلا الأشقى وهو الكافر وإن صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه"، (الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص453) من هنا ضلت المرجئة إذ أخذت نفي الصلي مطلقا قليله وكثيره، قال القرطبي: "قال الزجّاج: هذه الآية هي التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر" (القرطبي. 2003 م. مج20. ص87) ويُرَد على المرجئة من وجوه، الوجه الأول: أن يقال أن النار ناران، نار للموحدين، ونار للكافرين وهي دركات، والدرك الأسفل فيها للمنافقين، والمقصود في قوله ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل:14] نار الكفار، فخرج بذلك نار الموحدين التي يعذبون فيها ثم يلقون في نهر الحياة، قال القرطبي: "قال الزجاج: هذه نار موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار إلا الذي كذب وتولى" (القرطبي. 2003 م. مج20. ص87).

الوجه الثاني: أن الصلي صليان: صلي بخلود، وصلي حتى الموت. فالصلي بخلود يكون للكافر، والصلي حتى الموت يكون للمسلم الذي يدخل النار لمعاصيه؛ بدليل قول النبي ﷺ: (يَدْخُلُ النَّارَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا كَانُوا حُمَمًا (حمما بضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة وهو الْفَحْمُ، الواحدة حُمَمَةٌ. المباركفوري. بدون تاريخ. مج7. ص273) أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَيُقَالُ هُمْ الْجَهَنَّمِيُّونَ) (رواه الإمام ابن حنبل. 1999م. مج3. ص125. ح [12283]؛ وابن المبارك. بدون تاريخ. مج1. ص447. ح [1267]؛ وابن خزيمة. 1994م. ص413) وفي سنن الترمذي من حديث جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمْ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ قَالَ فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاء فِي حَمَالَةِ السَّيْلِ ("الغثاء" ضم الغين المعجمة بعدها مثلثة مفتوحة وبعد الألف همزة، هو في الأصل كل ما حمله السيل من عيدان وورق وبزور وغيرها والمراد به هنا ما حمله من البزور خاصة، "فِي حَمَالَةِ السَّيْلِ" أي ما يحمله السيل من غُثَاءٍ أو طين والمراد أن الغثاء الذي يَجِيءُ به السيل يكون فيه الْجَنَّةُ فيقع في جانب الوادي فتصبح من يومها نابتة. قال النووي: المراد التشبيه في سرعة النبات وَحُسْنِهِ وَطَرَاوَتِهِ. المباركفوري. بدون تاريخ. مج7. ص273) ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) (أخرجه الترمذي. 1998م. مج2. ص294. أبواب صفة جهنم عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بَابٌ مِنْهُ. ح[2597]، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن جابر. قال الألباني: صحيح؛ وأخرجه ابن حنبل. 1999م. مج3. ص391. ح[15198] بإسناد قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سفيان- وهو طلحة بن نافع- فمن رجال مسلم، وهو صدوق لا بأس به). فنار الكافر لا يموت فيها ولا يحيا، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾

[الأعلى:13] أما أهل التوحيد فيموتون في النار؛ بقرينة قوله ﷺ: (حتى يصيروا حُمَماً)، إلا شيئاً واحداً لا تأكله النار، وهو أثر السجود. وهؤلاء الجهنميون يموتون، ثم يلقون في نهر الحياة بعد ذلك، ثم يدخلون الجنة.

الوجه الثالث: أن (الأشقى) وقع في مقابل (الأتقى)؛ فلو قيل لا يدخل النار إلا الأشقى وهو الكافر، لجاز في المقابل أن يقال إنه لا يتجنبها إلا الأتقى وهو من بلغ الكمال في التقى وهذا ما لم يقل به أحد. قال الشوكاني: "أن من تمسك من المرجئة بقوله: لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى [الليل:15] زاعما أن الأشقى الكافر؛ لأنه الذي كذب وتولى ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين، فيقال له فما تقول في قوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل:17] فإنه يدل على أنه لا يُجَنَّبُ النار إلا الكامل في التقوى فمن لم يكن كاملا فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار فإن أوّلت الأتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله في الأشقى فخذ إليك هذه مع تلك ولا يخفاك أنه ينافي هذا وصف الأشقى بالتكذيب، فإن ذلك لا يكون إلا من الكافر فلا يتم ما أراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين." (الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص453؛ وانظر القنوجي. 1992م. مج15. ص271).

الوجه الرابع: دلالة قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:48] فأخبر **سبحانه وتعالى** أنه لا يغفر لمن يشرك به، وأما ما دون الشرك فصاحبه تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فلو كان كل مَن لم يشرك لم يعذّب لم يكن في قوله (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) فائدة. (انظر الشوكاني. 1414 هـ. مج5. ص453) وحاصل الآية كما ذكر الزمخشري أنها واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل (ٱلْأَشْقَى)، وجُعِل مختصا بالصّليّ كأن النار لم تُخلق إلا له، وقيل (ٱلْأَتْقَى)، وجُعِل مختصا بالنجاة كأنّ الجنة لم تُخلق إلا له" (الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. مج4. ص768).

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:16] أي كذب بالحق الذي جاء به رسول الله ﷺ ، وأعرض عن الطاعة والإيمان. وهذا كفر الإعراض قال ابن القيم: "وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدّقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة". (ابن قيم الجوزية. 1996م. مج1. ص347).

وقال ابن تيمية: "كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر؛ وإنما على الخلق أن يُصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا". (ابن تيمية. 1995م. مج7. ص59) وأتبع الأشقى بقوله: الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى [الليل:16] لزيادة التشنيع عليه، والذم له، فقد استمر على التكذيب والتولي حتى أدركه الموت وهو على ذلك. (طنطاوي. 1998م. مج15. ص422 بتصرف) أو للتنصيص على أن المقصود مشركو قريش؛ فإنهم يعلمون أنهم كذبوا الرسول وتولوا. (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص390 بتصرف).

قوله(وَسَيُجَنَّبُهَا) أي "النار الموصوفة، بوعد لا خلف فيه عن قرب بما أفهمته السين من التأكيد مع التنفيس" (البقاعي. 1995م. مج8. ص449)(ٱلْأَتْقَى) الذي بلغ الكمال في التقوى، والمعنى: سيُبعد عن النار "المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي، الشديد التحرز منهما بحيث لا يخطرا له ببال" (المراغي. بدون تاريخ. مج30. ص179).

قوله ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل:18] أي يعطي ماله وينفقه في وجوه الخير والبر؛ إرادة تزكية نفسه وتطهيرها، عطاء خالصا لله تعالى مبتغيا به وجهه، لا لأجل الرياء والسمعة، وطلب مدح الناس وثنائهم. قال القنوجي: "حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكيّا لا يطلب رياءً ولا سمعة". (القنوجي. 1992م. مج15. ص271.)

والصدقة من وسائل تزكية النفس الموعود عليها بالفلاح في قوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:9] دليل ذلك قوله تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:103] أي "تطهرهم من دنس ذنوبهم وتنمّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص". (الطبري. 2000 م. مج14. ص454).

وجَعْلُ إتيان المال نتيجة التصديق أمرًا بالغ الأهمية؛ ذلك أن العبد لا يخرج من ماله شيئًا إلا بعوض، فالمؤمن المصدق بالحسنى يُعطي وينتظر الجزاء الأوفى الحسنة بعشر أمثالها؛ لإيمانه بتعامله مع الله كما في قوله تعالى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾ [الحديد:11]، أما المكذب فلم يؤمن بالجزاء آجلا فلا يُخرج شيئا؛ لأنه لم يجد عوضا معجلا ولا ينتظر ثوابا مؤجلا.

(الشنقيطي. 1995م. مج8. ص552 بتصرف) ومما يؤخذ من الآية أن الإنفاق المستحب ينبغي ألّا يؤدي إلى ترك واجب وإلا لم يكن مشروعًا قال السعدي: "إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء؛ لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب". (السعدي. 2000م. ص926).

قوله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل:19] "مستأنفة مقررة لما قبلها من كون التزكي على جهة الخلوص، غير مشوب بشائبة تنافي الخلوص" (الشوكاني. 1414 هـ. مج5. ص454) والمعنى: ليس لأحدٍ من الخلق عند هذا الأتقى نعمةٌ من شأنها أن يجازى عليها، فهو لا يؤتي ما آتى من مال على وجه المكافأة، ولا يبتغي بإيتائه مجازاتها، بل ابتغى بذلكم العطاء وجه الله تعالى، فأعماله في غاية الإخلاص. "وفي الآية الإرشاد إلى أن صاحب التقوى لا ينبغي له أن يتحمل من الخلق ونعمهم وإن حمل منهم شيئاً بادر إلى جزائهم عليه؛ لئلا يتبقى لأحد من الخلق عليه نعمة تجزى فيكون بعد ذلك عمله كله لله وحده ليس للمخلوق جزاء على نعمته". (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص71) ونبه بقوله (تُجْزَىٰٓ) على أن ليس لأحد عنده من نعمة تجزى ولا رسول الله ﷺ إلا نعمة الدعوة إلى الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق الذي جاء به النبي ﷺ فهذه النعمة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة. قال ابن القيم: "فإن كل ذي نعمة يمكن جزاء نعمته إلا نعمة الإسلام فإنها لا يمكن المنعم بها عليه أن يجزى بها وهذا يدل على أن الصديق **رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ** أول وأولى من ذكر في هذه الآية وأنه أحق الأمة بها" (ابن قيم الجوزية. بدون تاريخ. ص71).

قوله ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:20] "استثناء منقطع لعدم اندراجه تحت جنس النعمة"، (انظر الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص454) أي لكن ابتغاء وجه ربه الأعلى. وفيها إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، قال ابن عثيمين: "وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريفٍ ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو وجهٌ حقيقيٌ يليق بالله". (ابن عثيمين. 1413هـ. مج5. ص12).

ولما كان هذا المقام من أعلى المقامات استحق صاحبه بعد الوعد بالإنجاء من النار، أن يعده بالثواب الجزيل الذي يرضيه فقال ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:21] فاللام في قوله (لسوف) لام الابتداء لتأكيد الخبر، (ابن عاشور. 1997م. مج30. ص392) والمعنى فسيرضيه الله تعالى يوم القيامة بإعطائه الجنة العليا والمزيد. وقيل: "اللام هي الموطئة للقسم أي وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم" (الشوكاني. 1414هـ. مج5. ص454).

والآية دالّة على فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وتحمل له "أعلى منازل البشرى؛ لأن هذا الوصف بعينه قيل للرسول ﷺ قطعًا في السورة التي تليها ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:5]، فهو وعد مشترك للصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وللرسول ﷺ ، إلا أنه في حق الرسول ﷺ أُسند العطاء فيه لله تعالى بصفة الربوبية، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:5]، كما ذكر فيه العطاء مما يدل على غيره ﷺ ، وهو معلوم بالضرورة من أنه ﷺ له عطاءات لا يشاركه فيها أحد. (الشنقيطي. 1995م. مج8. ص553) قال البقاعي: "إشارة إلى أنه أقرب أمته إلى مقامه؛ لأنه مما وعد النبي ﷺ أنه يرضيه وأنه لا يرضيه غيره كما أنه أرضاه خلافته له في الصلاة ولم يرضه غيره حين نهى عن ذلك بل زجر لما سمع قراءة غيره وقال: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ﷺ) (رواه مسلم بن الحجاج. بدون تاريخ. مج 4. ص1857. كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ح [2387]) " (البقاعي. 1995م. مج8. ص451).

الخاتمة:

أحمد الله سبحانه وأثني عليه بما هو أهله، وأشكره على فضائله وإنعامه جل شأنه، وفي ختام هذا البحث أوجز نتائجه وتوصياته فيما يأتي:

1) سورة الليل سورة مكية على الأرجح من أقوال أهل العلم، وهي إحدى سور المفصل.

2) لسورة الليل تعلق بسورة الشمس قبلها؛ ففيها تفصيل لما أجمل في سورة الشمس، كما أن لها تعلق بسورة الضحى بعدها.

3) مقصود سورة الليل إظهار البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة.

4) إقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته دليل تعظيمه لها، وتنبيهه على ما فيها من منافع وعبر، ومن ذلك إقسامه تعالى بالليل، والنهار، وما خلق الذكر والأنثى. ولله **عزّ وجلّ** أن يقسم بما شاء من مخلوقات بخلاف المخلوق الذي ليس له أن يقسم إلا بالله.

5) أفاد قوله تعالى ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:4] أن سعي العباد مختلف فساع إلى الخير وساعٍ إلى ضده.

6) من طرق التيسير للعمل الصالح في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة الإعطاء، والتقوى، والتصديق بالحسنى. أما البخل، والاستغناء، والتكذيب بالحسنى فمن أسباب التيسير للعسرى.

7) انتظم قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل:5-6] الدين كله، وجمع العلم والعمل.

8) رغّبت سورة الليل في تزكية النفس بالطاعات، ورهبت من تدسيتها بالمعاصي ببيان الجزاء المترتب على التزكية وضدها.

9) أنذر الله عزّ وجل عباده ناره التي يصلاها الأشقى ويجنبها الأتقى.

10) لا صحة في الاستدلال بقوله ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ [الليل:15] على ما ذهب إليه القائلون بالإرجاء.

11) طريق الهدى دالٌّ على الله موصل إليه، بخلاف طريق الضلال.

12) يوفق الله -الذي له الآخرة والأولى- لطاعته من أحبّ من خلقه، فيكرمه بها في الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب في الآخرة، ويخذُل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهينه بمعصيته في الدنيا، ويخزيه بعقوبته عليها في الآخرة.

13) الكافر مخلد في النار لا يخرج منها، أما المسلم فإن دخلها بسبب معاصيه لكنه لا يخلد فيها.

14) من وسائل تزكية النفس الموعود عليها بالفلاح الانفاق ابتغاء وجه الله.

15) في سورة الليل إثبات صفة الوجه لله تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

16) دلت سورة الليل على فضل أبي بكر الصديق ﷺ وأثنت عليه، وفيها وعد من الله له بالرضى.

التوصيات:

أوصي الباحثين والباحثات في الدراسات القرآنية بتناول السور القرآنية بالدراسة التحليلية الواعية للوقوف على ما فيها من لطائف وهدايات.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن مُحَمَّد. تفسير القرآن. (1419هـ). المملكة العربية السعودية. مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى. (1416هـ-1995م). المملكة العربية السعودية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. (1422هـ-2001م). بيروت. دار الكتاب العربي.
- ابن حبان، مُحَمَّد البستي. صحيح ابن حبان. (1408 هـ - 1988 م). بيروت. مؤسسة الرسالة.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. تقريب التهذيب. (1406هـ – 1986م). سوريا. دار الرشيد.
- ابن حنبل، أحمد بن مُحَمَّد. المسند. (1420هـ-1999م). بيروت. مؤسسة الرسالة.
- ابن خزيمة، مُحَمَّد بن إسحاق. كتاب التوحيد. (1414هـ - 1994م). الرياض. مكتبة الرشد.
- ابن الضريس، مُحَمَّد بن أيوب. فضائل القرآن. (1408هـ - 1987 م). دمشق. دار الفكر.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد. التحرير والتنوير. (1997 م). تونس. دار سحنون.
- ابن عثيمين، مُحَمَّد صالح. مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين. جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. (1413هـ). الرياض. دار الوطن.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (1422هـ). بيروت. دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر. التبيان في أقسام القرآن. بيروت. دار المعرفة. بدون تاريخ.
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. (1398هـ). بيروت. دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. (1416-1996م). بيروت. دار الكتاب العربي.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. (1420هـ - 1999 م). القاهرة. دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن المبارك، عبدالله المروزي. الزهد. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.
- الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزياداته، (1408هـ-1988م). بيروت. المكتب الإسلامي.
- أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف. البحر المحيط. (1422هـ- 2001م). بيروت. دار الكتب العلمية.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام. فضائل القرآن. (1415هـ -1995م). دمشق. دار ابن كثير.
- الألوسي، محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (1415). بيروت. دار الكتب العلمية.

البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل. صحيح البخاري. (1422هـ). مصر. دار طوق النجاة.

- البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن. (1426هـ). بيروت. دار إحياء التراث العربي.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. (1408 هـ - 1987 م). الرياض. مكتبة المعارف.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (1415هـ - 1995م). بيروت. دار الكتب العلمية.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. دلائل النبوة. (1405هـ). بيروت. دار الكتب العلمية.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. شعب الإيمان، (1423هـ-2003م). الرياض. مكتبة الرشد.
- الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى. سنن الترمذي. (1998 م). بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. (1436هـ- 2015م). جدة. دار التفسير.
- الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. (1423هـ-2003م). الرياض. مكتبة الرشد.
- الداني، عثمان بن سعيد. البيان في عد آي القرآن. (1414هـ-1994م). الكويت. مركز المخطوطات والتراث.
- الزحيلي، وهبة مصطفى. التفسير المنير. (1408هـ). دمشق. دار الفكر المعاصر.
- السبت، خالد بن عثمان. قواعد التفسير جمعا ودراسة. (1421هـ). القاهرة. دار ابن عفان.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (1420هـ -2000 م). بيروت. مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. أسرار ترتيب القرآن، القاهرة. دار الاعتصام. بدون تاريخ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. (1394هـ- 1974م). مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور. (1424هـ - 2003م). مصر.
- الشافعي، مُحَمَّد بن إبراهيم. كشف المعاني في المتشابه من المثاني. (1410هـ -1990م). المنصورة. دار الوفاء.
- الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (1415 هـ- 1995م). بيروت. دار الفكر.
- الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار. دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب. (1417هـ - 1996م). القاهرة. مكتبة ابن تيمية.

- الشوكاني، مُحَمَّد بن علي. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. (1414 هـ). دمشق. دار ابن كثير.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. القاهرة. مكتبة ابن تيمية. بدون تاريخ.
- الطبري، مُحَمَّد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. (1420 هـ – 2000 م). بيروت. مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، مُحَمَّد سيد. الوسيط للقرآن الكريم. (1998م). القاهرة. دار نهضة مصر.
- العاني، عبد القادر بن ملا. بيان المعاني. (1382هـ – 1965م). دمشق. مطبعة الترقي.
- الفراء، يحيى بن زياد. معاني القرآن. القاهرة. دار المعرفة. بدون تاريخ.
- الفيروز آبادي، مُحَمَّد بن يعقوب. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة، بدون تاريخ.
- القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. (1423هـ– 2003 م). المملكة العربية السعودية. دار عالم الكتب.
- القنوجي، مُحَمَّد خان. فتح البيان في مقاصد القرآن. (1412هـ – 1992م). صيدا–بيروت. المكتبة العصريَّة.
- الماوردي، علي بن مُحَمَّد. النكت والعيون. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.
- المباركفوري، مُحَمَّد عبد الرحمن. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.
- المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. مصر. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بدون تاريخ.
- مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. بيروت. دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.
- المناوي، مُحَمَّد عبد الرؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصغير. (1356هـ). مصر. المكتبة التجارية الكبرى.
- النحَّاس، أحمد بن مُحَمَّد. الناسخ والمنسوخ. (1408هـ). الكويت. مكتبة الفلاح.
- النسفي، عبد الله بن أحمد. تفسير النسفي. (2005م). بيروت. دار النفائس.
- الهرري، مُحَمَّد الأمين بن عبد الله. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. (1421هـ–2001م). بيروت. دار طوق النجاة.
- الواحدي، علي بن أحمد. أسباب النزول. (1412هـ – 1992م). الدمام. دار الإصلاح.
- الواحدي، علي بن أحمد. التفسير البسيط. (1430). الرياض. عمادة البحث العلمي–جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.
- الواحدي، علي بن أحمد. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. (1415هـ – 1994م). بيروت. دار الكتب العلمية.